المحاضرة السادسة

حضارة بلاد الرافدين (مظاهر الحياة السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية)

أولا: الحياة السياسية:

1-نظام الحكم:

أ-نظام الدولة المدينة (دويلات المدن): تأسست في بلاد الرافدين في البداية امدن المستقلة بعضها عن بعض، وأُحيطت بها اسوار، وأُقيمت حولها الخنادق لحمايتها. وقد بدأ هذا النظام مع السومريين.

وقد كان لكل مدينة سومرية أسرة حاكمة، على رأسها ملك، ولها جيش وقانون خاص، ويحيط بها مساحة من الأراضي المزروعة. وفي وسط كل مدينة معبد لإلهها الخاص، حيث كان هذا المعبد محور النشاط لسكان المدينة.

ب-نظام الحكم المركزي (الحكم الموحد):

بعد غزو "سرجون الأكادي" للمدن السومرية، وإنشائه لإمبراطورية واسعة، أصبحت هذه المدن تابعة مباشرة لعاصمة الامبراطورية (أكاد)، وجمعت بينها وحدة سياسية واقتصادية.

2-الملك وسلطاته:

كان نظام الحكم ملكيا وراثيا، وكان الملك يستمد سلطاته من إله المدينة الذي يعتبر الحاكم الأصلي، ويعتبر الملك نائبا له، وكان يسمى "ايشاكو"، أي وكيل الاله، ونفس الوقت كان الملك يعتبر كبير الكهنة الاله الذي ينوب عنه في حكم المدينة.

من أكثر واجبات الملك قدسية هي بناء المعابد وترميمها، كما كان الملك يتولى أعمال القيادة العسكرية.

يساعد الملك في إدارة شؤون البلاد مجلس للشيوخ وحكام الأقاليم والقضاة والموظفون.

ثانيا: الحياة الاقتصادية

1-الزراعة:

أ-قنوات الري: اعتمدت الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين على الزراعة بالدرجة الأولى، وقد نشأت حضارة السومريين في بيئة زراعية تفيض عليها المياه الغزيرة من نهري دجلة والفرت كل سنة، ومن أجل ذلك اهتم الملوك والحكومات بشق القنوات في انحاء البلاد لتحمل مياه النهرين لري الحقول والمزروعات.

ب-أدوات الزراعة والمحاصيل الزراعية:

-**الأدوات:** في بادئ الأمر استخدم السومريون فؤوسا من احجر لحرث الأرض، مثل الفؤوس التي أُستخدمت في النيوليتي، وبعد مدة ظهر المحراث الخشبي الذي تجره الحيوانات قد ظهر لأول مرة في بابل حوالي سنة 1400 ق.م، ومثل المحراث السومري كانت مثبتة في نهايتها أمبوبة تتصل بوعاء توضع فيه البذور ، فتتم عملية الحرث والبذر في وقت واحد. أما عملية الدرس فكانت تستخدم فيها عربت كبيرة تثبت في عجلاتها أسنان من الظران (أي حجر الصوان) تفتت القش وتفصله عن الحبوب.

-**المحاصيل:** من أهمها: الحبوب، كالقمح والشعير والذرة، التمور والفواكه المختلفة والخضراوات والسمسم والزيتون.

-**الرعي:** كانت تربى الأغنام والماعز والأبقار والخنازير في المراعي، في السهول وعلى سفوح الجبال.

2-الصناعة:

من أهمها صناعة لمنسوجات والمفروشات، وصناعة الأدوات والأواني الفخارية والخزفية، وصناعة الوب لبناء المساكن وأسوار المدن. وكان البرونز يستخدم في صناعة الأسلحة، كما صُنع الحلي وأدوات الزينة من الذهب والفضة.

3-النشاط التجاري:

كان للتجارة دور هام في مدن بلاد الرافدين، وقد ساهمت في رفع مستوى معيشة السكان وانتشار حضارة هذه البلاد.

أ-التجارة الداخلية: كانت نشطة بين المدن، وقد قامت عميات التبادل التجاري في البداية على المقايضة، ثم أُستخدمت سبتائك الفضة في العمليات التجارية.

ب-التجارة الخارجية: كانت القوافل التجارية تتجه إلى المناطق الواقعة حول الخليج العربي وآسيا الصغرى وبلاد الشام. حيث كانت تُصدّر منتجات زراعية وصناعية مختلفة، وتُستورد المعدن والأخشاب والتوابل والعطور والأحجار الكريمة.

ثالثا: الحياة الاجتماعية والدينية:

1-الأسرة: كانت الأسرة هي وحدة المجتمع السومري، وكان الزواج يخضع كثير من لشرائع الوضعية، وبعد الزواج تحتفظ الزوجة لنفسها "بالبائنة" التي يقدمها لها والدها.

والرجل هو رب البيت وله السيطرة على جميع أفراد الأسرة، وكان من حقه أن يبيع زوجته لسداد ما عليه من ديون. وقد كانت الزوجة تشارك في الحياة العامة، فإلى جانب أعمال البيت كانت تشارك زوجها في اعمال الحقل، وقد تنوب عنه في القيام بهذه الأعمال كلها إذا تغيب زوجها لمدة طويلة.

2-الكتابة والآداب:

-**الكتابة المسمارية على الألواح الطينية (أو الفخارية):** وهي من أهم أنماط الكتابة التي ظهرت في بلاد ما بين النهرين، وقد سُميت بالكتابة المسمارية أو الخط المسماري نسبة إلى القلم الذي يشبه المسمار، وهو مصنوع من المعدن ومدبب وله شكل مثلث منشوري والذي كان يستخدم في الكتابة.

وترجع أقدم هذه الألواح الطينية إلى حوالي 3200 ق.م، وكانت الكتابة تُقرأ عليها من اليمين إلى اليسار. وقد كانت الكتابة المسمارية على الألواح الطينية تستخدم في تسجيل المعاملات التجارية من عقود وصكوك، وتسجيل الوثائق الرسمية، والأحكام القضائية، ولقوانين والأساطير الدينية والوصفات الطبية والخطابات الشخصية.

-**الأدب في بلاد الرافدين:** كانت نماذج الأدب السومري تتميز بغزارة مادتها وإن كانت أساليبها أقل جودة من، بينما ارتقى الأدب البابلي إلى مستوى فائق. ويمكن تمييز نموذجين أساسيين من الانتاج الأدبي: الأول شعري، مثل ملحمة "كلكامش"، والثاني مدون بعبارات نثرية مثل النصوص الملكية التي ترجع إلى بلاد بابل وآشور.

3-الديانة:

أ-تعدد الآلهة: كانت الحياة الدينية في بلاد الرافدين تقوم على تعدد الآلهة، وكان يُقدّر عددها بالآلاف، وفي العصر البابلي بلغ عددها 65 إلها.

وكان لكل مدينة سومرية إله تخضع لحمايته، كما كانت لأنواع النشاط البشري آلهة توحي للناس م يجب أن يفعلوه، وتدبر لهم مختلف شؤونه، وتقوم بحمايتهم.

كما كان لكل ظاهرة طبيعية إله خاص، مثل الاله "آنو" (إله السماء)، والإله "انليل" (اله الهواء)، والإله "سن" (اله القمر)، والإله "أدد" (إله العواصف). وكان الإله "مردوخ" اشهر الآلهة عند البابليين.

ب-بناء المعابد: كانت المعابد تقام في وسط المدن، وتُشيّد حولها المساكن وقد كانت المعابد ات شكل وحجم مختلفين، فبعضها كان مجرد مصليات صغيرة، ثم أُقيمت المعاب الضخمة ذات التركيبات المعقدة وتخص الآلهة الأعظم.

ج-الكهنة: كانوا يحظون بمكانة سامية لدى الجماهير، إذ كانوا يُعتبرون وسطاء بين الناس والآلهة العظيمة، وهم يتلون الصلوات والأدعية، ويرتلون الأناشيد بقصد التخفيف عن المرض والمذنبين التائبين.